الاحتلال الاسرائيلي خلق العداء العربي ، وفي ادعائها مواجهة العداء العربي تلجأ اسرائيل الى التوسع مما يضاعف العداء . هذا اذا لم تكن اسرائيل بحاجة الى هذا « العداء » لطمس التناقضات في مجتمعها واستدرار تبرعات الرأسماليين اليهود وغير اليهود وكتبرير للتوسع بالذات الذي له منابع اخرى .

والامثلة على قلب الامور أقدامها فوق الرؤوس تكاد لا تعد . فكل العرض المفصل « لوجهة النظر الاسرائيلية » الموجهة للقارىء الغربي عملية تلاعب بالالفاظ وبالوقائع ، كما لاحظنا اعلاه . مثل آخر: في الصفحة ٢٢٤ يقول الكاتب على نمط المنطق السابق ان احد العناصر الاساسية في السياسة الاسرائيلية هو « حاجة اسرائيل الى مواصلة السيطرة على عدة مواقع استراتيجية لمنع العرب من العودة الى مواقع عدوانية » . والقارىء العربي لا يستغرب هذا المنطق الذي يشكل ترنيمة دائمة في الاعلام الاسرائيلي . فاسرائيل احتلت الضفة الغربية « لحماية » القدس الغربية والمدن الاسرائيلية الاخرى واحتلت غزة لمنع الفدائيين من العمل منها واحتلت سيناء لمنع الامداد عن غزة واحتلت الجولان « لحماية » قرى الجليل الشمالي وربما احتلت غدا المزيد من أراضي سوريا ولبنان لحماية مستعمراتها في الجولان والجليل الاعلى والضفة الشرقية لحماية مستوطناتها في الضفة الغربية ولعلم جرا . هذا هو المنطق اليومي لتبرير التوسع الاسرائيلي الذي تبثه بفعالية متدنية أكثر وأكثر أجهزة الاعلام الصهيونية .

هناك نقطة بحاجة الى عودة وتركيز : نظرة هركابي (العنصرية في نهاية التحليل) الى الواقع العربي . وتتجلى بشكل واضح في تحليله لاسباب الهزيمة العربية في حزيران ١٩٦٧ (الفصل الثاني). يستشهد الكاتب ببعض المصادر الغربية (ومن بينها بعض من يحملون اسماء عربية) ليدعم تحليله ، الذي يتناقض كليا مع اية نظرة مادية علمية . ولن ينقذ التحليل اللجوء الى بعض المصادر السوسيولوجية (الاجتماعية) والبسيكولوجية (النفسية) اللتين تنهلان من منبع المثالية الطوباوية . امثلة قليلة ستضيء مقولتنا .

يتحدث الكاتب عن استنتاجات بعض الباحثين التي تنسب الى العرب صفات « الارتياب وانعدام الثقة والشعور بالعداء بدرجة اعلى بينهم من بين أية مجموعات عرقية اخرى » (ص ٦٠) هذا « العداء العائم » يبحث عن ضحية يتجسد من خلالها . وهذه الضحية البريئة هي بالطبع اسرائيل .

وفي مكان آخر ، يقول هركابي : « رغم التصريحات (العربية) الموجهة للعالم الغربي ، فان اليهود المعادين للصهيونية ينعتون في الكتابات العربية بالخبث والدجل » (ص ٣١) .

مرة اخرى الكلام عن العرب ككل واتهامهم بالخداع والخبث في علاقتهم مع اليهود المعادين لاسرائيل والصهيونية . وهنا نريد ان نذكر هركابي ان مثل هذه التهم وجهها اللاساميون لليهود ككل بصدد الكلام عن طاقتهم وصداقاتهم مع الاخرين . وننتهز الفرصة لنؤكد له بأن بعض من يطلق عليهم اسم العرب ، وبالذات المقاومين الفلسطينيين ؛ يفخرون بأن يقف الى جانبهم عدد متعاظم من اليهود التقدميين في العالم وحتى في اسرائيل نفسها (وقد ذهب البعض من هؤلاء الى حد رفض الخدمة العسكرية وحتى المشاركة في خلايا مقاومة).

في حديث هركابي عن المقاومة الفلسطينية ، تبرز النقاط التالية :

— التركيز على **سلبيات ونقاط ضعف المقاومة** ، أحيانا من منطلقات يسارية ليست بشكل عام ضمن اسلوب التفكير العادي للمؤلف . المهم تحقير المقاومة واظهارها بأية حيلة كأنها كتلة من المساوىء .

— التشديد على **عدم فعالية اعمال المقاومة** وعدم تأثيرها على اسرائيل .

— التأكيد على **عدم واقعية أهدافها** وعلى حتمية فشلها أمام الواقع القائم في اطار عملية **تبئيس** شاملة :

فالفصل ما قبل الاخير (ص ٢٠٣ — ٢٢٦) يحمل عنوان « ضعف الفدائيين وتناقضاتهم » .

والفصل كله (المكتوب بعد أيلول ١٩٧٠) تأبين للمقاومة التي كان الكاتب يرهق نفسه قبل ذلك في التمحيص في نصوصها .

« فالفدائيون لم ينجحوا في اقامة خلايا مقاومة في الاراضي المحتلة » (ص ٢٠٥) ؛ والنشاط